تشاكل تلقّي لغة الجسد مع الوضعيّات المرافقة لها في التّراث العربي – القيام والقعود والتموضع– نماذجا.

Integration of receipt body language with accompanying positions in Arab heritage- standing and sitting and taking position- as models

*مختاري محمد

جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، (الجزائر)، Mokhtarim551@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/07/09 تاريخ القبول: 2022/04/22 تاريخ النشر: 2022/09/28

ملخص:

اللّغة البشريّة تهتم بالجانب التّواصلي كونها تعد الرّابط التّفاعلي بين أفراد المجتمع ووسيلتهم للتّعبير عن أفكارهم، وقد ركّز الباحثون في اللّغة منذ القديم على الجانب اللّفظي منها بشكل واسع كونه الخاصية المميّزة للإنسان التي يتفرّد بها عن باقي المخلوقات؛ أمّا الجانب غير اللّفظي فمؤخرا قد حاز هو الآخر على نصيب من الاهتمام خاصّة ما تعلّق بتلقّي لغة الجسد التّي باتت تعد ركيزة للتّواصل في عصرنا هذا وفي مجالات كالفنّ والمسرح والسّينما أو حقل السّميائيّات بوصفها نمطا للتلّقي؛ أو خارجه كمجال التّسويق والإعلام...

بيد أن لغة الجسد هي الأخرى تتشكّل وفق سياقات مساعدة لها في التّواصل ومن أهمها القيام والقعود والتموضع وما شاكلها والتي تساهم في التّأثير والإقناع، وتكمل صورتها التّواصلية وقدرتها على المساعدة في بلورة الدّلالة والإبانة عن المعاني للمرسل، حينما تثبت أنّها شطر مهم من لغة الجسد وأعضائه ولا تقلّ أهميّة عنها، وبذلك فانّ الهيئات الخارجيّة المصاحبة للجسد من وضعيآت هي عامل مهم جدّا في التلّقي.

كلمات مفتاحية: التّلقّي.، لغة الجسد.، الوقوف.، الجلوس.، التّموضع.

Abstract:

Human language is about communication, because it is the interactive link between members of society and their way of expressing their thoughts; Ancient researchers have focused on the verbal aspect of it, largely as a characteristic of humans, Recently, the non-verbal aspect has also gained attention especially body language, which is a pillar of communication in our times and in fields such as art and the field of semiotics as a pattern of reception.

But body language is shaped by contexts that help it communicate, most importantly, stand, sit and taking position, which contribute to influence and persuasion, and complement its communicative image and ability to denote the meaning of the sender; also it's an important part of body language.

Keywords: Receipt; Body language; stand; sit; taking positios.

*المؤلف المرسل: مختاري محمد، الإيميل:mokhtarim551@gmail.com

1. مقدمة:

يعدّ الاهتمام المبكّر بقضايا اللّغة العربيّة نضجا أحرزه علماء اللّغة والبلاغة ، فقد خلّفوا وراءهم تركة علمية تشهد على خوضهم في كل ما تعلّق باللّغة وما يحفّها من مسائل جادّة، خاصّة بالجانب الأدبيّ منها شعرا ونثرا، وكانت حصيلة ذلك وجود جهود فذّة رسمت ملامح الدّرس العربي، ومن أهمّ القضايا التي سبقوا إليها خوضهم في اللّغة اللّفظية وغير اللّفظية، وكان إيلاء الاهتمام أكثر للّغة اللّفظية كونها الخاصية البشريّة الفريدة؛ ذلك دون إهمال الجانب الموازي لها وهو اللّغة غير اللّفظية والتّي باتت مؤخّرا تشغل حيّزا واسعا من الدّراسات الحدثيّة.

وبالتّنقيب عن لغة الجسد ومتعلّقاتها والّتي تشكّل جزءا مهمّا من اللّغة غير اللّفظية، أضحى من المهمّ الاعتناء بأبعادها الإيحائيّة، ودلالتها السّياقيّة، وتلقيها والبحث عما تؤدّيه خاصة في موقف شفهيّ مباشر أين يجد المرسل نفسه مستعينا بها لإقناع أو التّأثير على المتلقّي، بيد أن لغة الجسد تكتمل صورتها بظروف سياقيّة مصاحبة لها تزيدها اكتمالا في الجانب التّواصلي والتّفاعلي بين طرفي الخطاب، وقد سارت بعض الجهود العربية الحديثة على درب اكتشاف كنهها على غرار مهدي أسعد عرّار

في مؤلّفه"البيان بلا لسان"،وخليل محمد عودة صاحب مؤلّف"التّواصل بلغة الجسد وغيرهما، وبعد تقفّي بعض الجهود التّراثية من باب التمحيص تمخّض عن ذلك وجود لبنة أولى في التّراث أسّست للغة الجسد وما يحيطها من أدوات، وكان الاقتصار على معالجة زاوية مهمة من الثّقافة العربيّة وتسليط الضوء عليها محاولة للبحث عن الإجابة على الإشكال الآتي وهو: ما مدى أهميّة لغة الجسد في التّراث العربيّ؟ وما هو حجم حيازتها على الاهتمام من لدن اللّغويين والبلغاء؟ وهل يمكن للغة الجسد أن تتكامل وتتشاكل بنيتها التّواصلية مع أوضاع معينة فتؤثّر على صورتها الأدائية في التلقّي؟؛ وعليه كان الانطلاق في هذه الصفحات البحثيّة بالخوض بدءا من عرض وجهات النّظر التّراثية حول هذه اللّغة الجسديّة وماهيتها، ثم الانتقال إلى بيان قيمة الجسد وأوضاعه في الثّقافة العربيّة، ثم ختاما الاستدلال عن ذلك تطبيقيّا باستحضار نماذج من التّراث العربي.

2. لغة الجسد التّواصلية في التّراث العربي اللّغوي والبلاغي:

1.2 لغة الجسد عند علماء اللّغة والبلاغة:

أشارت جهود اللّغويين والبلغاء العرب إلى لغة الجسد وعلم الحركة رغم بعدها عن الاصطلاح العلمي الحديث، لكن مؤلّفاتهم العلميّة وكتبهم النّفيسة زخرت بها فنجدها تحيل إلى اجتهاد خصب في مجال هذا الحقل ولو بمصطلحات عربية تراثيّة خالصة، لكن كلّها تجمع على وجه اتّفاق أنها لغة موجودة ضمن اللّغة غير اللّفظية، والدّارس يرمق وجود تفاوت في التعبير عنها بمسميّات مختلفة نحو : الإيماء والإشارة والحركة وغيرها، كما تباينت الآراء حول إدراجها ضمن مجال الكلام أم لا، وقد شهدت ساحة المؤلّفات التراثية في هذا السّياق وجود وفرة من المؤلّفات الضّخمة لا يتّسع المقام لعرضها شاملة على غرار جهود **سيبويه**(ت180هـ) الذي أشار إلى تعريف مرجعيّ للّغة وسياق التّواصل وكان من الروّاد رفقة **المبرّد**(285هـ) **وابن السرّاج**(ت285)و غيرهم من ثلّة العلماء، وسنكتفي في هذه الصفحات البحثيّة بالتّمثيل لبعضهم لا بحصرهم نظرا لعدم اتّساع المقام كما ذكر.

وباستعراض بعض ما جاء حول الموضوع نجد **الجاحظ** (ت255هـ) وظّف عبارة " النصبة" ولكنّه ينحو أن يعد لغة الجسد ضرب من الكلام وهو ما عبر عنه بمصطلح "البيان" الذي يتشارك مع البلاغة فعرّفه أنه " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضّمير، حتى يفضي السّامع إلى حقيقته...لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسّامع هي الفهم والإفهام..." [1]، والجاحظ في هذا التّعريف يركز على الوصول إلى المعنى أو الإيحاء بأي طريقة ممكنة ما دام يرمي للفهم والإفهام ويحققهما، ويرى أن التّعبير عن الفكر يتم بطرق مختلفة وكلها بيان، وذكر الجاحظ أيضا مصطلح "السّامع" بدل "القارئ" مثلا فيوحي هذا التوظيف أنه يجعل النصبة حكرا على الخطاب الشّفهي دون غيره من أنماط التّفاعل والتّواصل وبذلك حصر مضمارها.

ويخالف **ابن فارس**" (ت395هـ)" الرّأي السّابق فقد كان له توجه آخر متباين حول ماهية لغة الجسد، فأخرج نطاقها عن الكلام مستدلاّ بالأبكم الّذي لا يصوّت فيقول:" لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات على أكثر مراده ثم لا يسمّى متكلّما"[2]، لأنّ المتكلّم هو من يصحب اللّفظ بالحركات الجسديّة، فتلك هي سبله الوحيدة في التّواصل وليس مخيرا باستعمال النّطق أو الحركة بل هو مجبر على التّعبير بتحريك أعضائه الجسديّة أو يتعذّر عليه التّفاعل والتّعبير، وهو ليس بكلام ولكنّها إيماءات وإشارات، وقياسا على الأبكم الأمر سيّان بالنّسبة إلى مستعمل الحركات الجسديّة دون لفظ عند ابن فارس؛ والّذي

نجده يجمع بين الإشارة والحركة، لأنّ لغة الإشارة حديثا ما خصت بالبكم وغير المتكلّمين أما لغة الحركة فتكون للمتكلّمين وكلّها تدخل تحت نطاق لغة الجسد.

ويوافق **ابن هشام** (ت761هـ) الجاحظ حول أوجه الكلام وما تحمله من أنواع تعبيرية فيما ذهب إليه " الّذي رأى أنّ الكلام هو" الحدث وهو التكلّم عما في النّفس ممّا يعبر عنه باللفظ المفيد، وما تحصل به الفائدة سواء كان باللّفظ أو الخطّ أو الإشارة أو ما نطق به لسان الحال"[3]؛ ويفصل بين مفهومي " ابن هشام بين "الإشارة " و"لسان الحال"، فالأولى شملت لغة الجسد وتحريكه بشكل شعوريّ متعمّد ليؤدّي إيحاءات و معان، ولم يطلق عليها مصطلح "النصبة" كما فعلا الكفويّ والجاحظ؛ والثّانية يقصد بها الهيئة والتي لا تتعلّق بالجسد وحركاته وقد اجتهد في تعريفه على مصطلحات مختلفة معهما بينما هي متّفقة مع ما ذهب إليه **الجرجاني**(ت1078).

نجد أنّ وجوه الدّلالة على ما ذكر **الكفويّ** (ت1094) في تلخيصه لموضوع الدّلالة قائمة في صنفين : دلالة لفظيّة وغير لفظيّة، وكلّ منهما وضعيّة أو عقليّة أو طبيعيّة، فالدلّالة اللّفظية الوضعيّة دلالة الألفاظ الموضوعة على مدلولاتها، والعقليّة كدلالة اللّفظ على وجود اللاّفظ، والطبيعيّة كدلالة "أخ" على الوجع، أما الدّلالة غير اللّفظية الوضعيّة فدلالات المطابقة والتضمّن والالتزام والنّصبة، والعقليّة كدلالة المصنوعات على الصّانع، والطّبيعيّة كدلالة الحمرة على الخجل، والصّفرة على الوجل" [4]، الدّلالة غير اللّفظية عند الكفويّ مجال واسع بحسب ما ورد في هذا التّعريف وسيتمّ التركّيز على النّصبة لأنّها متعلّقة بالجسد وما يحفّه، والتّي تعكس حالة المتكلّم بلسان الحال ظاهريّا حتى مع عدم الإفصاح قولا، وهذا نظير لما ذهب إليه الجرجاني أيضا في مؤلّفاته، وهي حالة متكلّمة ولو بغير لفظ ولكنها تحمل معنى، وعليه فتعريف الكفوي يرتكز على توسيع دائرة التّواصل بتجاوز اللّفظ، كما أنّ الكفويّ يفصل في حيثية الدّلالة الطبّيعية للجسد التي لا يتحكّم فيها الإنسان فتخرج عن إرادته كالاحمرار الفطري لقاء الخجل أو الخوف، وبين دلالة الجسد الهادفة للتّواصل وتتمّ بإيعاز وتوجيه واع من صاحبها وهذا ما يفهم من فحوى كلامه.

وباستقصاء التّعاريف السّابقة يستنبط أن التّراث العربي تطرّق لثنائيّة اللّغة الملفوظة وغير الملفوظة وركّز على لغة الجسد وما يصحبها من هيئة خارجيّة على غرار حال صاحبها وما يمكن أن يحمله من إيحاءات تحمل بدورها دلالات في ذهن المتلقّي والّذي قد يربطها باللّفظ، وعليه يكون هناك تشاكل في بناء الصّورة بين اللّغة اللّفظية وغير اللّفظية وتحديدا لغة الجسد وهيئاتها المتنوّعة.

2.2 صورة الجسد وأثرها على ذهن المتلقّي في الجاهليّة:

يحيل الخوض في لغة الجسد التّواصلية إلى أبواب شتّى تدخل في نطاقه، لأنّها تحمل دلالاتين:

- الدّلالات المتعقلّة بتفاصيل لغة الجسد مثل لغة الأعضاء والإيماءات والإشارات.
- دلالات عامة متعلّقة بشكله الخارجي العام المتمثّلة في هيئته وخلقته.

وفي العصر الجاهلي كان لدلالات الجسد المتعلّقة بشكله تصوّرات يبني عليها الذّهن معرفته وتبني النّفس نظرة أوليّة حوله، وكان الفرق بائن آنذاك بنظرته لشكل الجسد وربطه بالقوّة أو الضعف أو غيرهما من الأوصاف، فاستطاعوا أن يحوّلوا الجسد العام إلى صورة تفصيليّة لها أبعادها الدّلالية.

لطالما جمعت الفحولة بين الخصال المعنوية والقوّة في منظور المجتمع العربّي قبل الإسلام خاصة ما تعلّق بالبيئة الصحراويّة القاسية وما تتطلّبه من تحمّل الصّعاب وتحدّي الحياة كالتّرحال والحروب الطّاحنة فلا غرابة أن تجد الشاعر مقاتلا والخطيب محاربا وما وصلنا من أخبار العرب يسرد لنا هذه الحقيقة... فيمكن القول إن الصّفات الشّكلية للجسد الفحولي بدت ملامحها في الشّعر الجاهلي من خلال صفات معنويّة أحالت إليها، ليرتبط بذلك جوهر المرء بمخبره ويتعلّق جلال المواقف بجلال الجسد، الضّرورة لا تقتضي وسامة الجسد بقدر ما تقتضي تناسبه وانسجامه مع الموقف، فهل شوهد فارسا في معركة من المعارك سمينا ثقيل الجسم أو ينقصه عضو من الأعضاء؟ أم لمح محاربا أعمى أم عرف ضعيف أجار مستجيرا؟ أم وجد ضعيفا يهابه الناس؟[5]

فالمجتمع الجاهليّ كان يحتفي بالفارس ويجعله من علية القوم فلا يكون كذلك إلا إذا ظفر بالتميّز خلقا وفعلا أي شكلا ومضمونا،" إذ ثمة انتقال من فعاليّة ذهنيّة إلى فعاليّة حركيّة، أي من تصوّر الفعل إلى جسدنة الفعل وبالتّالي تجسيده لأفكار عبر طاقة الجسد" [6]، فالفروسيّة التي تحدث عنها الشّاعر الجاهليّ تقتضي من الفارس النّحافة ورشاقة البدن،كما تتطلّب الصحّة والمقدّرة ،أما الشّجاعة والجرأة فتتطلّبان قوّة البنية وضخامة الجسم والجلد، لأنّ المظهر أيضا يزيد العدوّ رهبة،كما يبعث الصّوت الجهوري في ساحة الوغى الفزع والرعب في صفوف الأعداء عند النزال،أما النّظرة الثّاقبة فقد كانت من دواعي الفحولة والّتي تدلّ على المجابهة والتّحدي، وأمّا السّرعة فتتطلب طول القامة والنّفس الطّويل ليتمّ اللّحاق بالعدوّ أو ليتمكّن الهارب من النّجاة. [7] والعصر الجاهلي أولى اهتماما بالقوّة الّتي هي مظهر للفروسيّة والفتوّة فخير الرّجال من كان:"منتصب القامة شديد العظام والأطراف والأضلاع والمفاصل قويها، عظيم الصدر والأكتاف قويّ الرقبة قليل اللّحم عليها عريض القصّ ضامر الورك، ويكون العضل الذي باطن ساقهم منحدرا إلى أسفل والجلد منه واللّحم أزيد نتئا، وجبهته معرفة لا غضون فيها، وليست عديمة الشعر." [8]

ولما كانت العرب تولي اهتماما بالغا للجسد مثلما ذكر سابقا، فلم يكن الجسد والجسم المتناسق القوي مقتصرا على الحروب وإظهار القوة في المعارك، لكنه أيضا أوجب على المخاطب أن يتمتع بصفات شكلية تؤهله التأثير على المتلقي وتشد انتباهه شدا، فالمظهر القوي يعكس الشجاعة والجلد والصلابة وهذا يعكس أيضا التأثر بالمخاطب، خاصة أن ضعيف البنية في الجاهلية كان أقل شأنا من القوي غالبا، وخير مخاطب في الجاهلية ما كانت أقواله توازي فعاله، ولكن مع هذا أيضا وجد مخاطبين في الشعر والنثر كان لهم شأن كبير بالرغم من عدم قوة أجسادهم.

وابتكر المبدعون أساليب وسبل تواصليّة مساعدة على استجابة المتلقّي ومساهمة على التّأثير والإقناع وشدّ انتباهه منذ القدم على نحو إرفاق الجسد بوضعيات تتلاءم وسياق المضمون على نحو: الوقوف والجلوس والتموضع في مكان عال وهلمّ جرا، حتّى يكون أنجع، خاصّة فيما تعلق بالأجناس الشفهيّة والمرويّات كفنّ الخطابة والقصّ والمقامة والمناظرة...، كلّ فنّ من هذه الفنون له أوضاع جسديّة مرافقة للّغة الجسد والملفوظ، وقد حظيت الثّقافة العربيّة هي الأخرى بالاصطلاح على ما يتوجّب فيها وما لا يتوجّب فربطتها بالسّياق وأحوال أطراف التّواصل مرسل ومستقبل.

3. الوضعيّات المكمّلة للغة الجسد في الثّقافة العربيّة:

1.3 وضعيّة القعود:

صنّفت العرب وضعيات الجلوس وأنواعها باختلاف هيئاتها قيل: "إذا جلس الرّجل ونصب ساقيه ودعمهما بثوبه أو بيديه قيل احتبى، وهي جلسة العرب، فإذا جلس ملصقا فخذيه ببطنه وجمع يديه على ركبتيه قيل قعد القرفصاء، فإذا جمع قدميه في جلوسه ووضع إحداهما تحت الأخرى قيل تربّع...فإذا التقى وفرج رجليه قيل انسدح" [9]، إنّ نزوع العربيّ إلى تصنيف أوضاع الجلوس وهيئاتها متفاوت دلاليّا في الشّكل والمعنى، وهذه الوضعيّات تحمل في طيّاتها معالم الاحترام في درجاتها المختلفة وتحتكم أيضا في القيام بها إلى سياق خارجيّ إما اجتماعيّ أو ثقافيّ أو نفسيّ... وهذا بحسب العادات والتّقاليد أو الدّين عند المجتمعات، ولذلك الاهتمام باختيار وضعيّة جلوس أو قعود معينة من طرف المخاطب يجب أن يكون ملائما لسياق الحال، فكان على الخطيب الذي يريد أن يعقد قران بين زوجين في الثّقافة العربيّة والإسلاميّة أن يعتدل في الجلوس فلا يجلس جلسة القرفصاء، والاعتدال مفهوم نسبي يختص بالمقام، وكان على من يستقبل ضيفه القيام وهذا عرف متداول اصطلح عليه، يدل على أن وضعيّة الجلوس في هكذا هيأة قد توحي بالاستصغار، وقد نجد الاختلاف في الأمم الأخرى مقارنة بالثّقافة العربيّة والإسلاميّة التي تخضع إلى معايير محدّدة.

ويرتبط الأمر بالنّسق الثّقافي "فهناك مجتمعات ترى أنّ الحديث مع الغير أو تناول الطّعام أو تلقي العلم معه يكون بالقعود على الأرض، هذا إلى جانب أداء الشّعائر الدّينية، وهناك مجتمعات أخرى ترى أن ذلك كلّه يتم بالجلوس على المقاعد، كما ترى أنّ المجتمعات تختلف في شكل الجلسة أو هيأتها على الأرض، أو على المقاعد وترى أنّ الموقف أو الظّرف يساهم في تحديد هيئة الجلسة، فالجلوس لتناول الطعام يختلف عن الجلوس لتلقّي العلم، وتختلف هاتان الهيئتان عن هيئة الجلوس لأداء الشّعائر الدّينية " [10]، فمقام العلم يحتاج إلى جلسة تأهّب واستعداد وتركيز من الملقي والمتلقّي، ليشعر الملقي أنه محل اهتمام وإصغاء وانتباه ويشعر المتلقّي بدوره شعور هيبة واحترام اتّجاه الملقي فان جلس جلسة لا تليق بالمقام قل شأنه وتأثّر خطابه، بينما بعض وضعيّات القعود الأخرى لها دلالات معينة على غرار السّجود الذي يدل على الخضوع والطّاعة ...فطريقة الجلوس والقعود لها أثر بارز على نفسيةّ البشر.

2.3 وضعيّة القيام:

القيام هيئة تعكس وضعية الجلوس ويختلف عن الوقوف كون القيام يكون بعد الجلوس وهذا يمكنه أيضا أن يسقط دلالات إيحائيّة لأنّنا " نلاحظ أنّ الإنسان عندما يقوم أو ينهض من جلوسه، قد يقوم نشيطا وبسرعة أو قد يقوم مضطربا أو قد يقوم متكاسلا أو يقوم مضطربا مترنّحا مما يكشف لنا عن حالته النّفسية" [11]، إنّ قيامه بسرعة يمكن أن يرسم لنا صورة أوليّة أنّه متسرّع أو أنه يسارع إلى الاحترام، بينما الّذي يقوم ببطء فقد يعكس التريّث والوقار أو ربما الضّعف أو التّهاون والكسل، وإذا اضطرب وترنّح في وقوفه من الجلوس فقد يرسم لنا صورة عنه أنه غير مبال، والوقوف له رمزيّة نفسيّة إذا وظّفه المخاطب بشكل سليم ومناسب بالرغم من أنه يعود إلى جانب خلقيّ طبيعيّ وجانب مصطنع مكتسب ولكنه يعكس العظمة والشموخ لذلك ألفنا في التّراث العربيّ بعض الأنواع الخطابيّة لا تؤدّى إلاّ قياما من ذلك خطابة الحروب والتّحميس والّسياسة...، الّتي تحتاج إلى الشدّة وتكون صورة تعكس القوّة في ذهن المتلقّي، فلو جلس الملقي في مثل هذه الخطب لقلّ شأنه، فلم يكتف الخطباء بالقيام لاستقطاب انتباه المتلقّين.

ومنه قديما وحديثا تبنّى الخطباء الوقوف في مواقف " فكان الخطيب في الاجتماع الحاشد للاحتجاج على قضيّة ما، يقف على صندوق فارغ يتّخذ منه منبرا مؤقّتا يعتليه المهيّجون وغيرهم من الخطباء في الهواء الطّلق، لكي يكون أعلى من كلّ شخص آخر، والقاضي يجلس في موقع أعلى "[12] .

4.نماذج عن دلالة بعض الوضعيّات المرافقة للغة الجسد: القيام، الجلوس، التّموضع:

1.4 دلالة القيام والوقوف:

تعدّ هذه الأوضاع الثّلاثة في تراثنا العربيّ بخاصة صورة من صور الجسد وإحدى لغاته المتمثّلة في الهيئة، والّتي تعين أعضاءه على الإبانة عن أغراض معيّنة، ولذلك خصّصت لها مقامات معينة مرتبطة بنوعيّة الخطاب، فإذا كان سياسيّا يهدف إلى الإلقاء على جمهور وجب القيام والوقوف في مكان على مرأى ومسمع النّاس، وإذا كان تحاوريّا وجب أن يلقى على هيئة جلوس وغالبا ما تكون في المناظرة والمقامات، وعليه الخطاب الشفهيّ له أحوال وكل بحسب غايته، وكان الاصطلاح على أوضاع إلقائه طافيا قبل الولوج إلى المضامين، ومنه القيام في الخطابة حيث" اشترطها العرب في حالات الخطب، وبخاصّة في الصّلح والحمالة والمحالفة، ليكون أوكد للعهد وأبلغ للقصد.

أمّا في خطب الزّواج فاشترط القعود، والخطيب الخطيب هو الذي لا يفترق شأنه في حالي القعود والقيام، كالإمام عليّ الّذي قال فيه الحارث الأعور: والله، لقد رأيت عليا وانّه ليخطب قاعدا كقائم، ومحاربا كمسالم."[13] وهذا راجع لبأسه الّذي وهبه الاحترام والهيبة فإذا وقف أنصت له، وإن جلس فلا تقليل من شأنه، لأنّهم ألفوا قوّته وشدّته كخطيب تصغي له الآذان وتخضع له الأسماع وتنثال له القلوب؛ وكان النبيّ عليه الصّلاة والسّلام يخطب قائما إلا في خطب النّكاح، وكان كذلك الخلفاء الرّاشدين يسيرون على نهجه فيما فعل، وروي أنّ معاوية بن أبي سفيان رحمه الله خطب جالسا في موضع كان يستحب فيه القيام والوقوف، فذكر في وجه الاعتذار عنه أنه جلس للخطبة حين ثقل جسمه وفهم ذلك الوضع الجسميّ أنه لا يتناسب مع الموقف كون العرب أنها كانت تولي الاهتمام للجسم؛ وفي نموذج آخر روى البخاري في صحيحه أنّ عبد الرحمن بن الحكم خطب في يوم جمعة قاعدا فأنكر عليه بعض الصحابة وقال: انظروا إلى هذا يخطب قاعدا والله تعالى يقول:{ وَإِذَا رَأَوا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}[14]، وفي رواية أخرى أن ابن خزيمة قال: ما رأيت كاليوم قطّ إماما يؤمّ المسلمين يخطب وهو جالس، يقول ذلك مرّتين[15].

إن إنكار الجلوس في الخطبة مرده اجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم كمتلقّين حول قضية ملاءمة الجلوس مع المقام الذي رأوا فيه الاستهجان والرّفض ورأوا أنّ القيام أحسن حالا اقتداء بسيرة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وقد أكّد ابن خزيمة ذلك عندما كرّر رفضه مرّتين، وهذا مردّه الخروج عن المألوف في التّخاطب مع النّاس، فقد كان هنالك ضوابط وأعراف موجودة وجب احترامها في بعض الأنواع الخطابيّة في العبادات وغير العبادات، وحتى قبل الإسلام، ولا يمكن دحضها بأي شكل وعدّ من خالفها انّه يخالف تقليدا اتّبع أو أن خرق نظاما لا سلطان له بذلك.

ومردّ الأمر أنّ العرب ترى في القيام تعبيرا يحمل وجها لاحترام الآخر خاصة في التّواصل الشّفهيّ، وجاء في مقامات الهمذاني عن ذلك ما رواه في مؤلّفاته:"حدّثنا عيسى بن هشام قال: بينما نحن بسارية عند واليها، إذ دخل عليه فتى به ردع صفار، فانتفض المجلس قياما "[16] في حركة تعظيم للقادم مكانة وأدبا، وقد قام المجلس حتى قبل البدء في الفعل التّواصلي وهنا

نجد استجابة المتلقّي عن طريق حركة الوقوف من باب ايلاء الأمر جانبا من الاهتمام، تماما كما يجدر بالمخاطب فعل ذلك، فالقيام هو حركة تواصليّة تفاعليّة بين طرفي الخطاب لها أحوالها وأوضاعها وسياقاتها يحمل في طياته تعابير لهيئة جسديّة صامتة في شكلها وحاملة لدلالات قوية في جوهرها.

2.4 نماذج عن دلالة الجلوس والقعود:

ولا ينتبذ أو يرفض القعود كليّا في هيئته المحضة الخارجة عن أي سياق، كما أنّ ليس كل القعود محمودا، وله أيضا أوضاع تختلف مسمّياتها وقد فصلت في الكتب التّراثية مثلما أحال عليها "الثّعالبي" في مؤلّفاته، بيد أن القعود في الفعل التّواصلي له هيئات تحترم وأشكال تتلاءم مع الأحوال لتتبوّأ بمراتب الإنصات والإصغاء لدى المتلقّي؛ ونقلا لصورة مقربة عن حسن الجلوس في موضع تواصليّ شفهيّ ما سرد عن المقامة " البخاريّة " التي أوردت هيئة من الجلوس على اعتدال وارتفاع يتيح قبول النّاظرين والسّامعين للمتكلّم ذلك لما وقف "الشحّاذ" يتكدّى أمام الماريّن مع طفله الصغير لم يزهد في الطّلب عن نفسه، فأراد أن يطلب فتاه الصّغير ويستعين بصوته للتّعبير عن حاله أمام الحاضرين، وقبل أن يطلب الرجل من ابنه الإلقاء اللّفظي، أمال ظهره إليه على هيئة القعود" في المرتفع ليتمكّن من الحديث في أحسن موقع، يقول عن ذلك : ثم قعد مرتفعا و قال للطّفل أنت وشأنك [17] فتهيئة المنظر الجسديّ شكلا وتموضعا هو البداية الأمثل التي يستجلب فيها المخاطب الانتباه بمحاولة التّغطية والحصول على أكبر مساحة ترمق العيون يتواجد فيها النّاظرون، وهذا التصرّف هو جمع لتركيزهم واهتمامهم البصريّ قبل الانتقال إلى أسماعهم وما يحمله اللّفظ من معان.

وجدت أوصاف عديدة لحالات القعود في بعض الخطب ومنها ما كان عن قصد ومنها ما كان فيها المخاطب على وجه الإرغام كأن يكون مريضا أو متعبا، وقد جاء في كتب التّراث أن قعد المأمون الحارثيّ في نادي قومه، فنظر إلى السّماء والنّجوم، ثم أفكر طويلا ثم قال: "ارعوني أسماعكم، وأصغوا إلى قلوبكم، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد، طمح بالأهواء الأشر، وران على القلوب الكدر ...." [18]، وقد فضل المأمون القعود عن الوقوف في هذا الموقف احتراما للمقام الذي تطلب أداء الخطاب وفق القعود فلم يجد حرجا في ذلك نظرا لما استدعته طبيعة السّياق وظروفه، ولكن قد يكون المخاطب في ظروف مختلفة مجبرا على الجلوس ولو استلزمت نوعيّة الخطاب الوقوف وهذا لأمر يكون خارجا عن نطاق المخاطب وإرادته، كأن يكون مريضا أو مرهقا أو متقدما في العمر... يتعذر عليه الصّمود لفترة طويلة، فلا يستطيع تحمل مشقّة الوقوف وجاء " عن الفضل بن عبّاس قال : جاءني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فخرجت إليه فوجدته موعوكا قد عصب رأسه، فقال خذ بيدي يا فضل، فأخذت بيده حتى جلس على المنبر، ثم قال ناد في النّاس، فاجتمعوا إليه...ثم نزل فصلّى الظّهر ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالته..." [19]، وفي هذه الرّواية عن الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وصف لحاله الضّعيف ومنه يستخلص أنه كان مضطرّا للجلوس ونظرا لطبيعة المخاطب فانّ المتلقّي لن يتأثّر في التلقّي بشكل كبير لأن الخطاب أهمّ من الهيئة.

يستحسن للجلوس أن يكون على مرتفع حتى يرى بالأبصار وذلك إعانة للمتلقّي وسبب في حسن التّركيز،لأنّ الجلوس في منخفض يحجب الرّؤية ويعيق الصّوت عن الوصول إلى الأسماع، وقد " قال ابن قتيبة: لما ولى عثمان صعد المنبر، فجلس على ذروته، فرماه النّاس بأبصارهم " [20]، وما يجدر الانتباه أن ابن قتيبة وصف الموقف بدقّة متناهية حيث ركّز على عملية الصعود على مرتفع ليتيح للنّاس رؤيته وهذا ما يتعلق بالمخاطب، ثم انتقل إلى وصف المتلقّين وهم الحضور أنّهم رموا أبصارهم اتجّاه

عثمان رضي الله عنه، وهذا يصوّر أن النّقاد كانوا يهتمّون بما يحفّ الخطاب من عناصر محيطة مساعدة له وكلّها ظروف تدخل تحت نطاق التّواصل، فجلاء رؤية الخطيب يمنح حسن السّمع ورؤية لغة جسده وهيئته المساعدة على التّأثير والإقناع.

3.4 نماذج عن دلالة التّموضع:

ليس القيام كافيا دائما في الخطاب الشّفهيّ بل يتعدّاه إلى التّموضع كبروز المخاطب أكثر واعتلائه مرتفع أو الوقوف على منبر...، واشترط هذا في بعض الفنون الشّفهيّة ومنها فنّ الخطابة فانّ " أحسن حال للوقفة الخطابيّة أن يقف الخطيب على مرتفع ليشرف على السّامعين ليتمكّنوا من رؤيته ووصول الصّوت إليهم، فانّ الرّؤية تساعد على حسن الاستماع وأن يقف وقفة طبيعيّة، مستقيم القناة، بارزا بصدره إلى الأمام، معتدلا بلا انحناء ولا تقوّس، يرفع برأسه دون الانتصاب الزّائد والانحناء المفرط، مقدّما إحدى رجليه على الأخرى، ولا يتكلف في وقوفه ليتّزن جسمه، وتستريح نفسه ، ولا يعيا صوته، وأن يتجنّب بعض العادات المستهجنة " [21]، وفي مواضيع ذات صلة بالوقوف على مرتفع وخاصّة المنبر ودوره في لفت الانتباه، ذكر أنّه لما استخلف عمر رضي الله عنه صعد المنبر فقال : " إنّي قائل كلمات فأمنوا عليهنّ " [22]،إن للصعود على مرتفع وإلقاء خطاب وقع نفسيّ على المتلقّي والملقي معا، لأن المخاطب يتاح له رؤية كل الجمهور.

أمّا المتلقي فسينصبّ اهتمامه على السّماع بشكل جلي فيصله الصّوت أقوى وهو حافز أكبر على الانتباه، وفي موضع آخر بلغه " أنّ قوما يفضّلونه على أبي بكر الصدّيق، فوثب مغضبا حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه " [23]، وألقى خطبة تحمل إصلاحا للموقف وتصحيحا لمن جانب الصّواب في ذلك. وهذا الصّعود للمنبر قياسا مع الحالة النّفسية الغاضبة يعكس أن التّموضع عاليا هو رغبة في إيصال خطابه للكلّ دون استثناء وإلى أكبر قدر من الحضور، وأنّه يرغب في أن يكون كلامه جليّا لا تشوبه شائبة مثل عدم الانتباه أو إغفال للموضوع.

والوقوف في مكان عال يضيف قيمة نوعيّة إلى الوقفة و يزينها شكلا، فإذا كان الخطيب يريد البروز بوقفته فقد لا يكون كذلك إذا كان الحضور من جمع المتلقّين واقفا، لذلك يستحسن أن يبحث له عن مرتفع ليظهر عنهم أكثر كالخطب العسكريّة التي يكون فيها الكل واقفون فأنى له أن يظهر أو يسمع أو يرى دون اللّجوء إلى مرتفع يميّزه عنه شكلا، وجاء في المقامة الساويّة أن" أشرف شيخ من رباوة، متخصرا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه...فقال : لمثل هذا فليعمل العاملون، فاذكروا أيّها الغافلون وشمروا أيّها المقصّرون..." [24]، والوقوف على مرتفع أو على رابية أو ما يشبههما يلفت الانتباه خاصّة إذا جدّ الأمر، وهو ما يؤلّف وجوده في بعض الخطب الدّينية كوقوف الإمام على منبر، أو الخطب السّياسية وغيرهما من بعض المواقف الّتي قد يكون فيها المتلقّون واقفين، واستعان الشيخ أيضا بعصا غليظة وهي "هراوة " كمظهر يبين للتلقّي عن القوّة حتّى وإن كان المخاطب شيخا كبيرا فتناسبت مع حركة الوقوف في انسجام يدل على الجدّ وعلى أهميّة الخطاب الشّفهيّ الذي كان بصدد الإلقاء والّذي كان فحواه الإيعاز والنّصح والإرشاد.

ليس إنشاد الشعر بمعزل عن لغة الجسد وهيئاتها، وحركة الوقوف من بين ما ورد عن المنشدين له في المجالس، وقد دلّ "النّهوض" وهو ضرب من أضرب الوقوف في " المقامة المكيّة " عن وجوده ليمثّل الاستعداد الشّكلي قبل قرض الشّعر والتغنّي به

فقد أمر أحدهم وهو شاعر ولدا له بأن ينشد شعرا مراعيا هيئة جسده قبل ذلك قائلا له: " قم يا بني كما قام أبوك، وفه بما في نفسك لا فضّ فوك، فنهض نهوض البطل البراز، وأصلت لسانا كالعصب الجراز وأنشد يقول:

يَا سَادَةً فِي المَعَالِي لَهُم مَبَانٍ مُشَيَّـــدَةً

وَمَنْ إِذَا نَابَ خَطْبٌ قَامُوا بِدَفْعِ المَكِيدَةِ " [25]

إنّ الالتزام أو الإلزام بالقيام قبل إلقاء الأشعار صورة تفسر أنه حركة جسديّة يراد بها التهيؤ ولفت انتباه الحضور بصريّا قبل الانتقال إلى لفت انتباههم سمعا و إدراكا، وقد كانت عادة مصاحبة وملازمة فقد أحال لها بكلام لابنه بقوله أنه يجبّ أن يقوم مثلما قام هو، ولو جلس لضاع كثير من الاهتمام، وهي سنة الشعراء العرب في المجالس والأسواق الشعريّة التي تعتني جيدا بلغة الجسد التي شبّه شكلها الموحي في فنّ الشّعر بالفارس في المعركة، وحضور الشّكل فيه هو حضور لشخصيّة الشّاعر النّفسية لدى المتلقّين قبل حضوره الذّهني والوجداني والفكري.

5.خاتمة:

تمخّضت عن هذه الدراسة تشكّل مجموعة من النّتائج هي بمثابة عصارة البحث تعكس رؤية الجهود التّراثية حول قضيّة من قضايا اللّغة وهي كيفيّة تلقّي لغة الجسد بأشكالها وعلاقتها بالوضعيّات المصاحبة لها، وأبرز ما أسفرت عنه ما يأتي:

– لغة الجسد شطر من اللّغة غير اللّفظية كانت حاضرة في الجهود التّراثية العربية وهي مشكّلة للكلام وجزء مهم من التّواصل بالرّغم من غياب المصطلح العلميّ الحديث المستعمل آنذاك.

– الجسد يترك صورة ذهنيّة بارزة ومؤثّرة على المتلقّي في الثّقافة العربيّة نظرا لطبيعته والتّأثير يكون بشكله الخارجيّ أو هيئته أو بتوظيف أعضائه بنيّة التّواصل.

– الوضعيّات المرافقة للغة الجسد لها أثر في تمام الإيحاء وتبليغ المقصد المتلقّي، تتناسب مع سياق الفنون وأنواعها والكلام وأضربه، وتتناسب أيضا مع المرسل وقد تكون موظّفة بوعي بحثا عن التّأثير والإقناع أو شدّ الانتباه، كما أنها قد تكون عفويّة، أو ارتجاليّة في مواقف اضطراريّة.

– بعض الفنون والأجناس وأضرب القول لا يمكن أن تتجسّد في غياب لغة الجسد أو متعلقاته، وإن غابت عنها هذه اللّغة فقد يصيبها ويتخلّلها القصور.

كانت هذه بعض الزّوايا المضاءة من البحث تحاول تسليط الضّوء على نوع من التلقي المميّز في الثّقافة العربيّة وهو لغة الجسد وعلائقها الخارجيّة في صناعة الدّلالة والتي لها خصائص تحكمها وتجعلها مختلفة عن باقي الأنماط التّواصليّة الأخرى.

5. قائمة المصادر والمراجع

- **الكتب:**

أ/ العربية:

1. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري،دار الريان للتراث،مصر،1986، ج2.
2. ابن فارس: أبو الحسين أحمد الصاحبي، في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها،تح مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران بيروت ،1963.
3. ابن هشام الأنصاري جمال الدين،شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب،تح محمد محيي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة ، القاهرة ،1960.

4. أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت،2011.
5. أبو الفضل بن ربيع الهمداني (ت398هـ) مقامات بديع الزمان الهمداني، قدم لها و شرحها محمد عبده،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط2 ،2003.
6. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، لبنان، دت، ج1.
7. أبو منصور بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت 429)، فقه اللغة وأسرار العربية، تح فتحي السيد،المكتبة التوقيفية، مصر،2004 .
8. أحمد زكي صفوت،جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة،العصر الجاهلي- عصر صدر الإسلام،شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ،مصر ،ط1 ،1923.
9. زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2001.
10. مبروك بن عيسى، التحفة السنية في الخطابة المنبرية، دار الهدى عين مليلة، الجزائر ،2010.
11. محسن عقيل، الفراسة في معرفة لغة الجسد، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط1 ،2010.
12. محمد الحريري البصري (ت516)، مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر، توزيع دار الباز للطباعة والنشر عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، السعودية،1978.
13. منير حافظ، الوعي الجسدي-الإشارات الجمالية لطقوس الخلاص الجسدي، دار محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1 ،2011م.

ب.الأطروحات:

14. عزي مريم، الجسد في الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر،2014-2015.

6. الإحالات والهوامش:

1 - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، لبنان، دت، ج1، ص76.
2 - ابن فارس: أبو الحسين أحمد الصاحبي، في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران بيروت ،1963، ص41
3 - ابن هشام الأنصاري جمال الدين، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ،1960، ص 27،29
4 - الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت،2011، ص367
5 - ينظر، عزي مريم، الجسد في الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر،2014-2015، ص189،
6- منير حافظ، الوعي الجسدي-الإشارات الجمالية لطقوس الخلاص الجسدي، دار محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1 ،2011م، ص147
7 - ينظر، المرجع نفسه، ص187
8- محسن عقيل، الفراسة في معرفة لغة الجسد، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط1 ،2010، ص 259
9 - أبو منصور بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت 429)، فقه اللغة وأسرار العربية، تح فتحي السيد، المكتبة التوقيفية، مصر،2004، ص146
10- زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2001، ص 208،207
11- المرجع نفسه، ص 209
12- محسن عقيل، موسوعة الفراسة في معرفة لغة الجسد، ص 159
13 - مبروك بن عيسى، التحفة السنية في الخطابة المنبرية، دار الهدى عين مليلة، الجزائر ،2010، ص126.
14 - سورة الجمعة، الآية 11
15 - ينظر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، مصر،1986، ج2، ص466.
16 - الهمداني: أبو الفضل بن ربيع (ت398هـ) مقامات بديع الزمان الهمداني، قدم لها وشرحها محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ،2003، المقامة السارية ص 263
17 - ينظر الهمداني، المقامة البخارية ص99.

18 – أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الجاهلي–عصر صدر الإسلام، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1 ،1923، ص36.

19– المرجع نفسه، ص60.

20 – المرجع نفسه، ص101.

21– أبو زهرة، الخطابة، ص 123.

22 – أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الجاهلي–عصر صدر الإسلام، ص79.

23 – المصدر نفسه، ص 90

24– الحريري: محمد الحريري البصري (ت516)، مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر، توزيع دار الباز للطباعة والنشر عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، السعودية،1978، المقامة الساوية، ص 87.

25– المصدر نفسه، المقامة المكية، ص 115.